مركز الحوار السوري
Syrian Dialogue Center

التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (4):
مخاطره على الهوية السورية وسبل مواجهته

تقرير وصفي تحليلي ضمن سلسلة بعنوان

"التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا"

السبت 2 صفر 1442هـ - 19 سبتمبر/أيلول 2020 م

مركز الحوار السوري

مؤسسة أهلية سورية تهدف إلى إحياء الحوار وتفعيله حول القضايا التي تهم الشعب السوري، وتسعى إلى توطيد العلاقات وتفعيل التعاون والتنسيق بين السوريين.
أعلِن عن تأسيس مركز الحوار السوري أواخر 2015م عقب عدة فعاليات حوارية في الشأن السوري.
يتكون المركز من ثلاث وحدات موضوعية: وحدة الهوية المشتركة والتوافق، ووحدة تحليل السياسات، والوحدة المجتمعية.

إعداد: د. ياسين جمول

مدير الوحدة: د. أحمد قربي
وحدة التوافق والهوية المشتركة

التاريخ:
2 صفر 1442 هـ - 19 سبتمبر / أيلول 2020 م

جميع الحقوق محفوظة لمركز الحوار السوري - 2020 م

المحتويات

مقدمة 2

أولاً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على الهوية الدينية في سوريا 3

ثانياً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على الهوية اللغوية في سوريا 4

ثالثاً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على التنشئة الاجتماعية في سوريا 5

رابعاً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على تاريخ سوريا وثقافتها 6

خامساً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على الهوية المجتمعية والأمن الطائفي في سوريا 7

سادساً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على وحدة الجغرافية السورية 8

سابعاً: فُرَص التغلغل الثقافي الإيراني في سورية وسبل مواجهته 9

خاتمة 13

مقدمة:

ليس الحديث عن الهوية بجديد، ولكنه ينبعث مع كل صراع؛ لأن الهوية باختصار: ما يميّز الفرد أو المجتمع من غيره، وحيث إن الحربَ الناعمة تستهدف السمات الثقافية التي يتميز بها أفراد ينتمون إلى مجتمع ما فهي حربٌ على الهوية[1]، فنجد أن أركان الهوية أو الأسس التي تنهض عليها هوية أي فرد أو مجتمع تشمل: اللغة، والانتماء أو الوطن، والتنشئة الاجتماعية، والتاريخ، والدِّين؛ ومنهم مَن يفصّل فيها على نحو آخر.

ترتكز القوة الإيرانية الناعمة إلى العناصر ذاتها التي تتكون منها الهوية، أية هوية، وأهمّها: الانتماء للحضارة الفارسية والاعتداد بالعرق الآري، والتعصّب الديني للمذهب الشيعي الاثني عشري وفق مبدأ ولاية الفقيه، مع فرط الإعجاب باللغة الفارسية وتأكيد نشرها مع الحضارة الفارسية[2]؛ ولذا فإننا عند مراجعة ما مرّ من أدوات التغلغل الثقافي الإيراني في سورية نجدها استهدفت الهوية السورية بكافة أركانها في حرب هوياتية شاملة، لإرساء أركان الهوية الإيرانية المذكورة مكان الهوية السورية الأصيلة.

بعد أن استعرضنا في الإصدارات الثلاثة السابقة الأدوات التي تستخدمها إيران لتحقيق التغلغل الثقافي؛ الأدوات الدينية في الإصدار الأول[3]، والأدوات التعليمية والاجتماعية في الإصدار الثاني[4]، والأدوات الإعلامية والديموغرافية في الإصدار الثالث[5]؛ سنركز في هذا الإصدار الرابع والأخير على المخاطر الناتجة عن مشروع التغلغل الثقافي الإيراني على عناصر الهوية الوطنية السورية بشكل أساسي، مع مقترحات لمواجهته.

تتجلى أهمية هذا الإصدار في أنه يركّز على أخطر نتائج مشروع التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا، وهي: تهديد الوحدة الوطنية، وإثارة الانقسامات الطائفية في سوريا، وإضعاف الدولة السورية لحساب النموذج الميليشياوي الذي كرّسته إيران في العراق ولبنان واليمن. وبالتالي توعية السوريين بمختلف توجهاتهم وانتماءتهم إلى المخاطر المحدقة بمستقبل أجيالهم ودولتهم في حال استمرار هذا المشروع ونجاحه، ودفعهم لبذل جهود مضاعفة على المستوى التعليمي والثقافي والقانوني لمواجهة أدوات إيران الناعمة.

ينقسم الإصدار إلى سبعة أقسام: تتناول الستة الأولى تباعاً مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على: الهوية الدينية (أولاً)، الهوية اللغوية (ثانياً)، التنشئة الاجتماعية (ثالثاً)، تاريخ سوريا وثقافتها (رابعاً)، الهوية المجتمعية والأمن الطائفي (خامساً)، الوحدة الجغرافية (سادساً)، في حين يبحث السابع فرص التغلغل الثقافي الإيراني وسبل مواجهته.

1- يُدرس مصطلح الهوية فلسفياً وتربوياً واجتماعياً وسياسياً، وقد تناوله كثير من الباحثين بالدراسة النظرية والإجرائية. يُنظر فيه مثلاً: جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982: 529/2. وأحمد زكي بدوي، **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، بيروت، 1982: 529/2. واليكس ميكشللي، **الهوية**، ترجمة: علي وطفة، دار الوسيم، دمشق 1993. وأحمد قدور **مقالات في اللغة والهوية**، دار الرفاعي للنشر، حلب، 2009.

2- يُنظر: مجموعة من الباحثين، المشروع الإيراني في المنطقة العربية والإسلامية، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، دار عمار، 2013، ص219.

3- ينظر: "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (1): الأدوات الدينية"، مركز الحوار السوري، 10-5-2020، https://bit.ly/2F5ZFKZ.

4- ينظر: "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (2): الأدوات التعليمية والاجتماعية"، مركز الحوار السوري، 2-6-2020، https://bit.ly/2FeUjwt.

5- ينظر: "التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (3): الأدوات الإعلامية والديموغرافية"، مركز الحوار السوري، 30-6-2020، https://bit.ly/32dn71v.

أولاً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على الهوية الدينية في سوريا:

استمرت الهوية الدينية التي عليها بلاد الشام منذ الفتح الإسلامي ثم اتخاذها عاصمة للأمويين أنها بلدٌ غالب أهلها من المسلمين السّنّة، واحتضنت أقليات دينية وعِرقية متنوعة في انسجام واتفاق، وقد تعايشت مختلف المجتمعات من مسيحيين وأكراد ومسلمين ويزيديين وشيعة على مرّ التاريخ في سوريا، ومع أن لبعض المناطق والمجتمعات هوية عرقية قوية فغالباً ما يكون هناك حسّ مشترك بالمجتمع والهوية، وعلى الرغم من حدوث حالات عنف بين المجموعات المختلفة في بعض الأوقات فإن كثيراً من هذه الصراعات كانت معارك سياسية محلية لم تسفر عن تكوين تنظيمات قائمة على الهوية، ولم تكن عوامل الانقسام السكاني في سورية في البداية طائفية أو عرقية، بل كانت اجتماعية واقتصادية، بين الأغنياء والفقراء وبين الريف والحضر[6]. وهنا يأتي التغلغل الإيراني للعبث بهذا "الأمن الطائفي" والاستقرار الديني في سوريا عبر نشاطها في نشر التشيّع، وتسخير مختلف المغريات المادية وغير المادية لجذب الناس إلى مذهبها الاثني عشري، واحتلال المقامات الدينية وبناء الحوزات وتقوية التعليم الديني الشيعي في مقابل إضعاف التعليم الديني السنّيّ ومؤسساته، والأخطر فيما عملت إيران على نشره بالتشيّع اصطناعُ موالين لها؛ فأحدثت شرخاً كبيراً في المجتمع السوري بمن استمالتهم للتشيّع الفارسي، وجعلتهم في سورية أتباعاً لولي الفقيه الإيراني، كما فعلت في دول أخرى.

وفي تأكيدٍ من الإيرانيين لسيطرتهم الدينية والثقافية في المناطق التي تسيطر عليها الميليشيات الإيرانية، ويجتهدون فيها بنشر التشيّع فرضَ النظام بالتعاون مع الميليشيات الإيرانية الأذانَ الشيعي في ريف دير الزور، مع اعتقال الأئمة والمؤذّنين الذين يرفضون ذلك، مقابل رفع الأجور لمن يوافقونهم على الأذان الشيعي، كما منحتهم بطاقات أمنية خاصة تسهّل حركتهم[7]. ومن تلك المناطق التي فرض الأذان الشيعي فيها البوكمال.

وفي تغيير الأذان عن طابع البلد هدف آخر يتحقق لإيران من نشر التشيّع؛ إذ يعطي انطباعاً بمذهب جديد للناس، ويجبر الناس على استساغته مع مرور الوقت؛ لأنها تصبح جزءاً من ثقافة البلد.

وقد رصدنا فيما سبق أن إيران لم تستهدف بالتشييع الغالبية السنّيّة فحسب؛ بل استهدفت أبناء العلويين والإسماعيليين، وبدأت تستهدف كذلك الدروز في الجنوب بعد عمل إيران على التغيير الديموغرافي هناك بإسكان عوائل شيعية كما سبق[8]. والتحوُّل إلى التشيّع في أبناء الأقليات أخطر[9]، ما يعني تغييراً كبيراً في الهوية الدينية لسورية في المستقبل، وهذا ما كان سبباً لقلق كبير لدى أبناء الطوائف كلها، وليس أبناء السنّة فحسب[10]؛ وهذا القلق مبرَّر في ضوء الهيمنة الثقافية التي تفرضها إيران لتحقيق التفوّق للشيعة الموالين لها في سورية على حساب

6- أندرو باراسيليتي وآخرون، **منع انهيار الدولة في سوريا**، مؤسسة Rand، كاليفورنيا، 2017، ص8، الرابط: https://bit.ly/2Zau1Ti.

7- **النظام يفرض الأذان الشيعي بدير الزور السورية بالتعاون مع مجموعات تابعة لإيران**، وكالة الأناضول، 2018/11/19 https://cutt.us/kApJp

8- يُنظر: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (1): الأدوات الدينية، مركز الحوار السوري، 10-5-2020، ص11، الرابط: https://bit.ly/2YOqU28.

9- كثير من المتحوّلين إلى التشيّع في المحافظات الكبرى هم من عوائل شيعية في الأصل، في حين قدّرت الدراسة "أنه إذا استمرّ معدّل نشر التشيع الذي كان قبل سنوات الثورة فإنّ الإسماعيليين سينقرضون في سوريا في غضون 10 سنوات، وسينقرض العلويون خلال 25 سنة".
خالد السنداوي، إعداد وترجمة: حمد العيسى، التشيع في سورية ليس خرافة، بحث ميداني، دار مدارك للنشر، الإمارات، 2014.ص36.

10- أفرايم كام، **لماذا تدقّ إيران أوتادها في سوريا؟** القدس العربي، 2019/10/13 https://cutt.us/be93q

كل الطوائف الأخرى؛ فالأيديولوجية المذهبية المتعصبة التي تنطلق منها إيران في سياستها الخارجية[11] نحو سورية – وغيرها من الدول – تُشعل المنطقة كلها بالحروب الطائفية، وتسحق الأقليات قبل الأكثريات[12]. ولا يخرج هذا عن نِظريتَي إيران في ولاية الفقيه وأمّ القرى[13]، فضلاً عن تعصّبها العِرقي والقومي، وما تفعله داخل إيران بالأقليات العِرقية من غير الفرس والأقليات الدينية من غير الاثني عشرية يشهد لها بمحاربة الأقليات[14]؛ فالتي لم ترحم أبناءها وهم مواطنون في دولتها لن تكون بالأقليات خارج حدودها أرحم!

ثانياً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على الهوية اللغوية في سوريا:

لا يخفى أن اللغة من أهم عناصر الهوية في أية أمّة؛ فباللغة يتشكل الفكر ويبني المرء تصوراته، وعليه تجتهد الدول في نشر لغتها بصفتها القالب الأصيل لثقافتها[15].

ولم يَغِبْ هذا عن الإيرانيين، فاعتدادهم بلغتهم لا يقلّ عن اعتدادهم بفارسيّتهم[16]؛ ولهذا تقدّمَ نشر اللغة الفارسية في أدوات إيران الناعمة للتغلغل الثقافي في سورية وتصدير ثقافتها وثورتها[17]، فأقامت إيران مراكز تعليم الفارسية ودعمتها بقوة، وجعلت دوراتها مجانية، بل قدّمت مكافآت لمن يحضرها، ففرضُ الفارسية لغةً في مناهج الجامعات والمدارس ساعدَ فيه النظام السوري كان قبل الثورة، واشتدت فيه إيران بعد الثورة، حتى افتتحت مدارس تدرّس باللغة الفارسية، ولا تقبل باللوحات عند المقامات الدينية والمراكز الإيرانية إلا أن تكون مكتوبة باللغتَين العربية والفارسية[18].

11- يُنظر مع المراجع المذكورة سابقاً في الدراسة: هشام داود الغنجة، **دور العامل المذهبي في توجيه السياسة الخارجية الإيرانية تجاه العراق 2003-2013**، مركز الكتاب الأكاديمي، عمّان، 2016.

12- افشان استوار، **المعضلة الطائفية في السياسة الخارجية الإيرانية: حين تتصادم سياسات الهوية مع الاستراتيجية**، مركز كارنيغي للشرق الأوسط، 2016/11/30، https://cutt.us/vVLTD

13- هذا تلخيص ما يُعرف في ثقافة الثورة الإيرانية بنظرية "**أم القرى**"، وقد ورد في استراتيجيات إيران: "الواجب الرئيسي لكل فرد مسلم في الدرجة الأولى هو المحافظة على إيران الإسلامية، إيران التي هي دون أدنى شك أمّ القرى في العالم الإسلامي".

يُنظر: محمد جواد لاريجاني، **مقولات في الاستراتيجية الوطنية**، ترجمة وتحليل: نبيل العتوم، مركز العصر للدراسات الاستراتيجية والمستقبلية، لندن، 2013: ص43.

14- رحيم حميد، **الأقليات القومية في إيران تجد أصواتها الخاصة**، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى،2019/2/22، https://cutt.us/68CtJ.

15- يُنظر: نزار شقرون، **بحثاً عن هوية**، دار لوسيل، قطر، 2018، ص76، **ومقالات الأستاذ الدكتور مازن المبارك وأبحاثه وتقديماته ودليل آثاره**، دار اللباب، إسطنبول، 2019، 445/1.

16- بيّن علي خامئني المرشد الأعلى للثورة في إيران أهمية اللغة الفارسية للنظام الإيراني بقوله: "أتصوّر أن رجالات النظام يدركون قدر اللغة الفارسية، والسبب أن إيران اليوم لديها رسالة تصدّرها إلى العالم، وهذه الرسالة هي إسلامنا الثوري. نحن نمتلك رسالة للعالم تتطلب ناقلاً واحداً وحيداً، ألا وهو اللغة الفارسية".

يُنظر: أحمد موسى، **التوظيف الإيراني للفارسية.. دور اللغة في تصدير الثقافة والثورة**، مجلة الدراسات الإيرانية، مركز الخليج العربي للدراسات الإيرانية، السنة الثانية، العدد الخامس، ديسمبر 2017، ص15.

17- تنتشر لإيران مدارس ومراكز لتعليم اللغة الفارسية في أكثر من 109 مدن في العالم، فضلاً عن المراكز الثقافية والملحقيات، وافتتحت إيران قسماً خاصاً بنشر اللغة الفارسية في وزارة الخارجية.

يُنظر: المرجع السابق، ص19.

18- يُنظر: التشيع في سورية ليس خرافة، ص40. وعبد الستّير آل حسين، **تحذير البرية من نشاط الشيعة في سورية**، دار المحدّثين، مصر، 2007، ص22.

وهذا الإصرار من إيران على نشر لغتها الفارسية في سورية ليس إعجاباً بلغتها القومية فحسب، بل لأن الإيرانيين يدركون أهمية نشر لغتهم في التغلغل الثقافي[19]. فاللغةُ مع كونها ركناً مهماً في الهوية الثقافية وسيلةُ تواصل؛ وخلقُ هذه الوسيلة تجعل إيران أقرب للسوريين، وتمحي من طريقها عقبات في نشر فكرها وثقافتها؛ ما يمكّن التغلغل الثقافي الإيراني أكثر في المجتمع السوري. ومضى في بيان الأدوات التعليمية لإيران في التغلغل الثقافي كيف اشترطت إيران على نظام الأسد لدعمها ترميمَ المدارس المدمَّرة فرضَ اللغة الفارسية لغةً ثانية مع الثقافة الفارسية في التعليم السوري رسمياً، وإيران بهذا تريد مزاحمة اللغة الانتمائية العربية – وهنا مكمن الخطر – وليس التنوع الثقافي[20] الذي تتظاهر به، فهي تفرضها من موقع القوة والسيطرة على السوريين كمرضى مغلوبين.

ثالثاً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على التنشئة الاجتماعية في سوريا:

تسعى إيران لإحكام سيطرتها على المدارس – فضلاً عن تغلغلها في الجامعات ومراكز التعليم العالي – باعتبارها محاضن إعداد أطفال سورية، وأكملت جهودها للسيطرة على الأطفال بإقامة معسكرات كشفية طائفية، ووجّهت إليهم محتوى تعليمياً وترفيهياً في الأفلام والبرامج والأناشيد تغسل فيه أدمغتهم، على نحوٍ يجعل الأطفال أتباعاً للولي الفقيه في طهران، فلاحقت الأطفال في المدارس والبيوت، وقدّمت لهم ولأهاليهم مختلف المغريات في ظروف صعبة تمرّ بالناس؛ لأن السيطرة عليهم صغاراً تجعلهم جنوداً في مشروعها عند الكبر، فإيران تدرك أن مرحلة الطفولة مرحلة امتصاص وتشرُّب للقيم، وفيها تشكّل الملامح الأساسية للشخصية في مرحلة الرشد، وتدرك أهمية الظروف الثقافية والاجتماعية التي تتدخل أيضاً لتحديد مسار نموّ الشخصية واتجاهه، وهذا ما يؤكّد خطورة التنشئة الاجتماعية في بناء الهوية الثقافية؛ إذ التنشئة هي الأسلوب الذي يتبناه مجتمع ما في بناء الإنسان على صورة الثقافة القائمة، وفي أسلوب التنشئة الاجتماعية وأنماطها المختلفة تبرز واحدة من أهم القضايا الأساسية للوجود الإنساني، والتي تتعلق ببناء جوهر الإنسان الداخلي الذي يتمثل في تحديد شخصية الإنسان وجوهره؛ فالشخصية تشكيل ثقافي تتحدد طبيعته بطبيعة الحاضن الثقافي الذي نشأ في رعايته، وأغلب اضطرابات الهوية التي تظهر عند الكبار ترتبط بالهوية التي تحددت في مرحلة الطفولة[21].

19- يقول الدبلوماسي البريطاني أنتوني بارسونز: "إن استأنست بلغةِ أحدٍ وأدبِه، إن عرفتَ وأحببتَ بلاده ومدنها وفنونها وشعبها؛ ستكون مستعداً بشكل لاشعوري لاقتناء ما تريده منه أكثر من مصدر لا تعرفه بدقة، ولدعمه حين تعتبر أنه على صواب، ولتجنُّب معاقبته بقسوة إن أخطأ".
يُنظر: الثقافة والقوة الناعمة حروب الأفكار في السياسة الخارجية، مركز برق للدراسات والأبحاث، 2016، ص5،

20- يُنظر: أمين معلوف، **الهويات القاتلة**، بدون تاريخ، ص158-166.

21- يُنظر: علي أسعد وطفة، **التنشئة الاجتماعية ودورها في بناء الهوية عند الأطفال**، مجلة الطفولة العربية، الكويت، العدد 8، سبتمبر2001، وميكشللي، الهوية، ص47-48. **وكتاب نحو بناء هوية وطنية للناشئة**، لطيفة الكندري، المركز الإقليمي للطفولة والأمومة، الكويت، 2007.

تسلخ إيران الأطفال نحو هوية مغلقة قاتلة تختصر لهم الهوية في انتماء واحد إلى مذهبها الطائفي والسياسي في موقف متحيز ومتعصب[22]، ما يحوّلهم غالباً إلى قتَلَة تتشوَّه رؤيتهم للآخر لأنه عدوّ[23]؛ وهذا ما يخرج به الناظر في صور الأطفال السوريين من "كشّافة الولاية" وهم يحملون أعلام إيران ويضربون وجوههم ويصرخون بشعارات طائفية.

رابعاً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على تاريخ سوريا وثقافتها:

ترسخ إيران بأدوات غزوها الثقافي تجاه المجتمع السوري قيماً سياسيةً وتحرُّكاً اجتماعياً غير وطني[24]، ما يحول دون الاستقلال الثقافي وتحقيق السيادة؛ فهو احتلال ثقافي بوجه آخر لاختراق المجتمع السوري وتغيير هويته. ولإثبات تفوُّق هويتها الثقافية تستمر إيران في فرض هيمنتها الثقافية بمتابعة المهرجانات والأسابيع الثقافية الإيرانية والندوات الفكرية في مختلف المحافظات السورية حتى اليوم، على نحوٍ لم يعد يخفى على أحد الوجه الثقافي الجديد الذي تحاول إيران رسمه لسورية[25]، وهذا التطبيع القسري من صنيع المستعمِرين لإحداث تغيير في نظام المجتمع المرجعي الثقافي[26]، فتعمل على تبخيس هوية المجتمع السوري، وتطرح نفسها كنموذج للهوية المثالية، فتتولد للمجتمع مع هذا التطبيع والقهر هوية ثقافية مشوَّهة تجعله مبهوراً بالهوية التي تفرضها إيران بحكم الهيمنة الثقافية.

وفي المحتوى التاريخي المشوَّه الذي تستهدف به إيران السوريين، وما يردّدونه من إثارة أحقاد تاريخية تجاه عاصمة الأمويين وأبناء الشام؛ تدميرٌ لتاريخ سورية الذي يدخل في تكوين هويتها، فالتاريخُ مكوِّن رئيس في رسم هوية الفرد والجماعة والوطن، وهو لنا تاريخنا العربي الإسلامي؛ لأنه تراثنا وفيه مُثُل أمّتنا، ولا تكتمل هويتنا من دون هذا التاريخ[27]؛ لأن الهوية لا تأخذ هيئتها إلا بالاستناد إلى الماضي[28] الذي تعمل إيران على تشويهه، وسبّ رموزه الدينية والتاريخية لقطع صلة السوريين به، وتطرح لهم ثقافة مذهبية طائفية، جعلت أناساً ممن في مناطق سيطرة النظام

22- يقول أكاديمي سوري في جامعة حلب الحرة: "صرنا نسمع في سورية بكشّافة المهدي في حلب ودمشق ودير الزور، والأطفال يحملون صور الخميني وأعلام إيران وحزب الله، ويردّدون الشعارات الطائفية؛ وأين هؤلاء الأطفال من هذه الشعارات والأعلام ومن المهدي؟! هي كلها محاولات لسلخ الأطفال عن هويتهم الأمّ وثقافتهم ودينهم الإسلامي السّنّيّ المعروف في البلد".
تمت المقابلة في اعزاز بريف حلب، بتاريخ: 2020/3/13.

23- يُنظر: الهويات القاتلة: ص43، **وأسئلة الهويات في المجتمعات المتعددة الثقافات بين الوحدة والانقسام**، عبد الحسين شعبان، بحث محكَّم، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2018/10/15.

24- يُنظر: عزيزة الحاج، **الغزو الثقافي ومقاومته**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ص16.

25- أُشير في دراسة بعنوان "الواقعية السياسية والجهاد: الاستخدام الإيراني للميليشيات الشيعية في سوريا" إلى وجود ظواهر كثيرة تؤكد تجلّي الثقافة الإيرانية في سوريا: فمثلاً بعد عام 2012 ووصول الميليشيات الشيعية المدعومة من إيران باتت الاحتفالات بعاشوراء تتم بصورة أكثر وضوحًا، مصحوبةً بمواكب احتفال واسعة، علاوةً على أنه قد تم إنشاء مراكز ثقافية إيرانية تعلم اللغة الفارسية والمذهب الشيعي والبرامج التعليمية المختلفة للأطفال بمنطقة دير الزور عقب تخليصها من تنظيم "داعش" في عام 2017.
يُنظر: ياسمين أيمن، التوظيفات الإيرانية المتعددة للميليشيات المسلحة في سوريا، مركز المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، 2019/2/18 https://cutt.us/V8LDD

26- يُنظر: ميكشللي، الهوية، ص153-156.

27- يُنظر: محمد عابد الجابري، **عشر أطروحات في العولمة والهوية الثقافية**، فكر ونقد، العدد6، 1998م. أحمد قدور، مقالات في اللغة والهوية، دار الرفاعي للنشر، حلب، 2009، ص127.

28- يُنظر: ميكشللي، الهوية، ص67.

يتضجّرون من أنشطة إيران، ويرَون الحضور الروسي أفضل؛ لأن الثقافة الإيرانية قائمة على أساس ديني مذهبي، وكل الأطياف من السوريين كالمسيحيين والدروز والعلويين والإسماعيليين يخافون من التوجُّه الديني الإيراني المنغلق[29].

خامساً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على الهوية المجتمعية والأمن الطائفي[30] في سوريا:

أظهر العبث الإيراني الثقافي في المجتمع السوري كيف تجتهد إيران بتصديع المجتمع واختراقه، والتمييز بين أفراده حتى في العمل الإنساني، ثم رأينا من ثمرات التصدّع الاجتماعي بسبب التغلغل الإيراني حالات الطلاق التي حصلت بعد الثورة لأن الزواج كان لأغراض خارجية، وكذلك حالات انقلاب أفراد من العشائر ضد أهلهم وقتلهم؛ فالصراع لم يأخذ طابعاً طائفياً إلا بتدخل إيران وأدواتها العسكرية الميليشياوية، وتفكيك المجتمع على أسس مذهبية وطائفية نجحت فيه إيران في العراق من قبل، وتريد تعميقه في سورية[31]، وما تقوم به يحمل كل دوافع الصراع الطائفي؛ فالهوية المذهبية التي تحرص إيران على تكوينها للمتشيّعين وارتباطهم بها، والخطاب الطائفي في المجتمع لاسيما ما تفعله في مواكب الزيارات الدينية خاصة، والنشاط المتحيّز للمنظمات غير الحكومية، مع التدخل الخارجي من إيران وأدواتها؛ كلها تدفع بالمجتمع السوري لهوية طائفية وعنف إضافي[32]. وهذا التفتيت في المجتمع السوري يخدم أهداف إيران في التغلغل وفرض هوية جديدة عليه، بعد عقود من التوافق والانسجام، لتطييف سورية[33] وإلحاقها بالتبعية الإيرانية[34].

ولم تقف المساعي الإيراني في التغلغل الثقافي لتغيير هوية سورية عند تصديع المجتمع وتفتيته طائفياً ومذهبياً، فعملت على إحداث تغيير ديموغرافي في التركيبة السكانية السورية، وذلك بتوطين عوائل شيعية في المناطق التي دمّرتها مع نظام الأسد وهجّرت منها أهلها قسرياً، ثم عبر تجنيس عراقيين وأفغان وإيرانيين شيعة لإحداث التغيير الذي يضمن للشيعة الموالين سطوة اجتماعية وسياسية أكبر، وهذا التغيير في طرد السنّة وتغيير هوية سورية الدينية والثقافية تراقبه بعض الدول التي -على ما يبدو- توظيفه لمصالحها عبر تكريس حالة عدم الاستقرار المجتمعية في سوريا[35].

29- يُنظر: إقبال على تعلُّم الروسية في سوريا وتحفُّظ على نشر الفارسية، الشرق الأوسط، 2020/1/28، https://cutt.us/3pv6r

30- نقصد بالأمن الطائفي في معرض هذه الدراسة، المحافظة على نسب أعداد الطوائف والمكونات المتنوعة في سوريا من دون إحداث اختلال مقصود فيها قد يؤدي لاحقاً إلى انقسامات حادة يصعب معها الاجتماع على الهوية الوطنية السورية.

31- يُنظر: رفيق حبيب، الثورة السورية وترويض الربيع العربي، مايو 2013، https://cutt.us/WGpjI.

32- لتفصيل هذه الدوافع والسيناريوهات المتوقعة من العلاقات الطائفية يُنظر: جيفري مارتيني وآخرون، **مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط**، مؤسسة Rand، كاليفورنيا، ص5-6، 2017، https://bit.ly/329oXR7.

33- يُراد بالتطييف في إطار هذه الدراسة: تقسيم المجتمع حسب طوائفه الدينية والمذهبية، وإثارة النعرات والأحقاد بين هذه الطوائف لخدمة أهداف سياسية أو فكرية أو مذهبية، ومن ثم استعمالها في الوزارات والمؤسسات بمعنى أن تكون كلها من طائفة واحدة بعيداً عن معايير الكفاءة.

34- هشام النجار، سوريا.. التحولات الكبرى: مشكلات الوطن ومستقبل العرب، سما للنشر والتوزيع، 2015، ص179.

35- يُنظر: **بروفيسور إسرائيلي يكشف مخطط اقتلاع السنّة من سوريا والعراق**، أورينت نت، 2016/10/25، https://cutt.us/M8jO.

سادساً: مخاطر التغلغل الثقافي الإيراني على وحدة الجغرافية السورية:

يتطلب التأزيم الطائفي الذي تُحدثه إيران في سورية والعبث بديموغرافية المجتمع أساساً جغرافياً حتى يكون له تأثير في المنطقة؛ فأي مجتمع يعاني من احتقان أو نزاع داخلي بين مكوناته، دون أن يكون لهذه المكونات مناطق جغرافية خاصة بها؛ فإن المجتمع سيكون قادراً على السيطرة على النزاع والحدّ من تأثيره ثم التغلب عليه[36]. ولهذا وجدنا إيران تسابق الزمان للسيطرة على مناطق نفوذ لها لاسيما في العاصمة دمشق، وعلى امتداد الطرق التي تسمح لها بإكمال الهلال الشيعي الذي تستهدف إقامته للوصول إلى مياه المتوسط، ووجدناها تتقدم في عمليات التهجير القسري من هذه المناطق؛ فالنزوح الداخلي يخلّف على الأرجح آثاراً مضادّة على الصعيد الطائفي؛ فمن جهة قد يؤدي ترسيخ الطوائف في جيوب معينة إلى تراجع التوترات الطائفية، إذ تصبح الطوائف منفصلة عن بعضها جغرافياً، لكنه من جهة أخرى قد يؤدي انخفاض التفاعل بين الطوائف إلى زيادة التعصب تجاه المجموعات الأخرى، وفي المرحلة الانتقالية عند توطين العائلات في مكان جديد تصبح بشكل خاص عرضة لأعمال العنف الطائفي[37].

وهذا يقودنا إلى مساعي إيران في تدمير الدولة السورية عبر أدواتها الخشنة والناعمة؛ فالانتماء إلى الدولة أحد مكونات الهوية للسوريين، وتسعى إيران لتشويهه عبر ربطه بها بعيداً عن الوطن السوري. وقد انطلقت إيران في تدخلها في سورية من كونها بلداً مريضاً[38]؛ لكنّ الوصفة التي أرادتها إيران لسورية "المريضة" هو تدمير الدولة، وخلق دولة سورية ضعيفة تسيطر عليها ثقافياً وأيديولوجياً تكون تابعةً لمشروعها، كما فعلت في العراق ولبنان، فضعفُ قوة الدولة وسلطتها يزيد من أهمية الفاعلين الخارجيين في سياسة الدولة الداخلية، ويدفع الناس إلى الهويات والجماعات الطائفية من أجل تأمين الحماية والمواد الأساسية التي لن تستطيع الدولة تقديمها بسبب ضعفها[39]؛ وهذا ما تريده إيران لضمان ارتهان سورية لها وسيطرة ميليشياتها على القرار فيها، فعملت على التغلغل في مفاصل الدولة وتعيين موالين لها في مواقع قيادية ثقافية وتعليمية كما سبق، فضلاً عن المناصب الأمنية والعسكرية؛ كي يلعبوا دوراً في رسم السياسات وتنفيذ البرامج التي تنسجم مع أهداف إيران[40].

وفي هذا السياق عملت إيران كما سبق على تطويق العاصمة بحزام شيعي يضمن لها السيطرة على القرار السياسي للدولة، كما فعلت في تجربة حزب الله ومصادرته القرار اللبناني في بيروت بسهولة، فهي عبر أدواتها تحاول إضعاف الكيان السوري وتكوين دول داخل الدولة السورية؛ لكنّ الاستقرار في المستقبل سيعتمد على تقوية شوكة الدولة السورية ومؤسساتها؛ إذ إن تمكين هياكل دون الدولة على حساب الدولة نفسها – حتى وإن كان ذلك في إطار

36- الثورة السورية وترويض الربيع العربي، مرجع سابق.

37- مستقبل العلاقات الطائفية في الشرق الأوسط، مرجع سابق، ص4.

38- هذا ما جاء على لسان "خامنئي" في مذكرات الجنرال همداني وهو يأمر سليماني بالعودة إلى سورية: "سورية بلد مريض، ولكنه لا يعرف أنه مريض، وهذا المرض يجب شرحه وتفهيمه للساسة ورجال الدولة في سورية، وإذا رفض هذا المريض الذهاب إلى الطبيب فيجب أن تأخذوه، وهو لن يخبر الطبيب بمرضه، وإذا رفض أخذ الدواء الذي وصفه الطبيب، عليكم أن تجرّعوه الدواء بأنفسكم، وتراقبوه لتتأكدوا أنه يأخذ الدواء حتى يشفى"!

يُنظر: فاطمة الصمادي، رسائل الأسماك، ما تقوله مذكرات الجنرال همداني: الوصاية الإيرانية على سورية، مجلة سياسات عربية، العدد 22، أيلول 2016، ص141.

39- غريغوري غوس، **ما وراء الطائفية: الحرب الباردة الجديدة في الشرق الأوسط**، مركز بروكنجز، الدوحة، يوليو2014، ص26.

40- يُنظر: **إيران والحرب والحديث عن خيار تقسيم سوريا**، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2018/3/21، https://cutt.us/AtSCT.

الحوكمة المحلية أو اللامركزية – سيؤثر سلباً على وحدة سوريا واستقرارها؛ نظراً لارتكاز الهوية الوطنية السورية في التاريخ الحديث على الدولة، وقد تطورت على مر التاريخ على الرغم من أدوار الدولة السلبية في مرحلة ما بعد الاستعمار والحكم الاستبدادي[41].

وبهذا يتضح أن التغلغل الثقافي الإيراني في سورية يؤدي إلى تدمير الهوية السورية، وإحداث تغيير ثقافي واجتماعي – إن حصل تغيير سياسي لا يوافقها – يخلق هوية جديدة في سورية يسهل من خلالها على إيران ضمان ديمومة تأثيرها فيها ومصادرتها لصالح مشروعها.

سابعاً: فُرَص التغلغل الثقافي الإيراني في سورية وسبل مواجهته:

قطعت إيران خلال أكثر من أربعين سنةً أشواطاً في التغلغل الثقافي داخل سورية على كافة الأصعدة، وما زالت في الساحة السورية حتى اليوم، وفي يدها أوراق قوة ثقافياً، لعل أبرزها:

1. تحقيق انتشار "التشيّع الإيراني" ضمن شريحة من طوائف السوريين.
2. إقامة حسينيات ومقامات وحوزات دينية إيرانية عديدة، وافتتاح مدارس ومعاهد شرعية وجامعات إيرانية؛ تمثّل كلها مراكز لنشر الفكر الإيراني في سورية.
3. مراكز تعليم اللغة الفارسية في المدارس والجامعات وخارجها.
4. وجود الميليشيات العسكرية الموالية لإيران كقوة صلبة تحفظ مصالحها في حربها الناعمة.
5. الهيمنة السياسية والاقتصادية القوية لإيران في سورية.
6. نجاح إيران باختراق قطاع التربية والتعليم فيما دون الجامعي فضلاً عن التعليم العالي، وتوقيعها اتفاقيات رسمية مع عدة وزارات يعطيها صفة قانونية لأنشطتها الثقافية.
7. استمالة شريحة كبيرة من العلويين إلى التشيّع الديني، أو السياسي بالولاء لإيران.
8. التمويل الإيراني الكبير، وبشكل أقل تمويل بعض المكونات الطائفية الخليجية، لأنشطة التغلغل الثقافي الإيراني.
9. نجاح إيران بتجنيد رموز دينيين وعشائريين لصالح مشروعها.
10. ترسانة إيران القوية من وسائل الإعلام والنشر.
11. نجاح إيران بإحداث تغييرات في ديمغرافية سورية السكانية والعمرانية.
12. اتساع نطاق التغلغل الإيراني على امتداد الجغرافية السورية.
13. نجاح إيران في إضعاف التعليم الديني والمؤسسة الدينية السنّيّة، وجعل الشؤون الدينية برمتها في أيدي أعوانها من "الشيعة والمتشيّعة".
14. وصول إيران لأخطر شريحة عُمرية وهم الأطفال في التجنيد وغسل الأدمغة ثقافياً.

41- منع انهيار الدولة في سوريا، مرجع سابق، ص8.

15. ضرب إيران الهوية السورية في أكثر من مفصل؛ لاسيما في تفكيك المجتمع طائفياً ومحاولة تدمير الدولة.

لكنّ نقاط القوة السابقة هذه بيد إيران ينقضها (بعضها أو أكثر) أمور كثيرة؛ تهوي بها حتى يمكن تحييد بعض منها، وقلب بعض آخر إلى فرص للسوريين لمواجهة التغلغل الإيراني، غير أن ذلك يتطلب وجود استراتيجية متكاملة لمواجهة هذا التغلغل، واستغلال نقاط ضعفه التي يمكن أن نلخصها بما يلي:

1. كان نجاح إيران في نشر التشيّع – مع كثرة المغريات المالية وغير المالية – محدوداً قبل الثورة السورية، وما تم من تشييع بعد الثورة فبالترهيب واستغلال الضائقة الاقتصادية للناس. ومع عودة اللاجئين المنصوص عليها في اتفاقيات الحل النهائي يعيد تأكيد الغالبية للسنّة في سورية؛ فكلُّ حلٍّ لا يتضمن عودة اللاجئين تكريسٌ للتغلغل الإيراني وخدمةٌ لمشروعها. مع التأكيد مجدداً أن خطورة نشر "التشيّع الإيراني" من كونه يتم بشكل قسري من جهة، وأنه وفق رؤية إيران "مذهب ولي الفقيه" ليكون أفراد الطائفة الشيعية أتباعاً لها ولاؤهم داخل دولهم؛ وإلا فالشيعة كانوا قلّة في سورية لهم ما للسوريين وعليهم ما عليهم قبل التغلغل الإيراني، وكانوا يرفضون ضروب الغلو التي جاءت مع الإيرانيين[42].
2. كافة المؤسسات الدينية والثقافية الإيرانية أكثر ما يقصدها الشيعة والمتشيّعون؛ لأنها تحمل طابعاً طائفياً شكلاً ومضموناً، وقلة آخرون إما خائفون من نظام الأسد والميليشيات الإيرانية، وإما أنهم لم يجدوا مؤسسات تستقبلهم بسبب الدمار الحاصل.
3. فرص انتشار اللغة الفارسية محدودة مهما وفّرت إيران لنشرها من الدعم؛ لمزاحمة اللغة الروسية كلغة قوة، وميل كثيرين - حتى من العلويين الموالين للنظام - لتعلّم الروسية أكثر[43]؛ لارتباط اللغة الفارسية عند الناس بالمطامع الإمبراطورية الفارسية من جهة، ولارتباطها بالتشيّع الإيراني من جهة أخرى؛ وبعض الدارسين يرى انتشار أية لغة يكون محدوداً إن ارتبطت بجماعة عرقية أو بدين أو أيديولوجية[44]؛ والفارسية مرتبطة بكل هذه.
4. لا فرص للميليشيات الإيرانية للبقاء الدائم في سورية؛ وبقاؤها يؤكد "إيران" كقوة احتلال يستنفر السوريين من جديد لمقاومتها، وإيران ذاتها قد تدرك خروج قوتها العسكرية عاجلاً أو آجلاً من سورية، ولذلك تنشط أكثر في الاتجاه المدني والثقافي.
5. أفادت الهيمنة الإيرانية على رأس سلطة نظام الأسد باستصدار أوامر عديدة لتسهيل أنشطة التغلغل الثقافي؛ لكنها تبطل بإسقاط النظام ورموزه، لذا يجب أن يبقى سقوط الأسد وكافة رموز نظامه مطلب الثورة الأول.

42 يراجع: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (1): الأدوات الدينية، مرجع سابق، ص19.

43- يُنظر: **صراع الثقافتين الروسية والفارسية في سوريا**، مرصد الشرق الأوسط وشمال إفريقيا الإعلامي، 2020/1/28، https://cutt.us/toY08.

44- يُنظر: صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، 1999م، ص102.

6. توقيع الاتفاقيات لا يكفي لمنح الغطاء القانوني؛ لارتباطها بنظام فاقد الشرعية، وقد سبق لنظام الأسد السيطرة التامة على قطاع التعليم لعقود متتالية؛ ثم فشل في منع قيام الثورة السورية وتصحيح كثير من المفاهيم المغلوطة التي ربَّى الناس عليها.
7. اصطفاف شريحة من العلويين مع إيران لا ينفي وجود آخرين يفضّلون الاستمرار على علويّتهم دينياً وعلى انتمائهم لسورية سياسياً، وقد تكررت حوادث وتصريحات من داخل مناطق النظام برفض الوجود الإيراني[45]؛ فالخوف من القبضة الأمنية والعسكرية يكبت كثيرين عن التصريح.
8. لا يسمح الوضع الاقتصادي الداخلي لإيران بالاستمرار في تمويل النظام السوري وأنشطتها إلى ما لا نهاية، لاسيما مع الأزمات الحالية التي تعصف بالاقتصاد الإيراني برمّته. فضلاً عن أن الدعم الخليجي الطائفي محدود ولا يمثّل الموقف الرسمي لبلدان أولئك الطائفيين.
9. افتُضحت عمالة الرموز الموالين لإيران من السوريين وعملهم لأجندة خارجية، وينبذهم الشارع السوري، ولم تعد لهم حاضنة شعبية خارج دائرة النظام[46].
10. تنوّع وسائل الإعلام السورية المعارضة، وهي – على يُسر إمكانياتها – فاعلةٌ في صفوف السوريين، وتربطها علاقات مع مؤسسات إعلامية إقليمية ودولية كبيرة، يتيح لها مجابهة الأدوات الإعلامية الإيرانية وفضح أنشطتها العدائية في سورية.
11. التغيير الديموغرافي الذي حققته إيران بالتعاون مع نظام الأسد تغيير قسري، ويُصنَّف وفق القانون الدولي على أنه "جريمة حرب"[47]؛ وعلى السوريين إثارة هذه القضية في المحافل القانونية الدولية لإسقاط كافة التغييرات الديموغرافية التي أحدثتها إيران ونظام الأسد خلال سنوات الثورة كلها.
12. صحيح أن نشاط إيران ثقافياً يمتد على أكثر الجغرافية السورية، لكنه يتركز بشكل أكبر على مناطق "سورية المفيدة" حسب تصنيف نظام الأسد، وهذا يؤكد تحضير إيران والأسد لمخطط تقسيم سورية؛ فيلزم الإصرار على رفض مشروع التقسيم في أي ترتيب سياسي مستقبلي؛ لأنه يعطي لإيران فرصة لاستمرار نفوذها والسيطرة على موارد سورية بشكل أكبر.
13. المؤسسة الدينية السنّية عريقة في سورية، وشيوخها ومؤسساتها ترجع إلى عقود من العمل؛ فلا يمكن لأية سلطة تدميرها بالكامل مهما أضعفتْها، وقد رأينا بيان علماء سورية في ذروة السلطة الأمنية لبشار الأسد قبل الثورة[48]. بعكس الطبقة الموالية لإيران من الزعماء الطائفيين الطارئين على التعليم والمؤسسة الدينية. وهنا

45- يراجع: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (3): الأدوات الإعلامية والديموغرافية، مرجع سابق، ص17.

46- يمكن الإشارة هنا إلى المظاهرات الرافضة للنفوذ الإيراني في كل من العراق ولبنان، مع التنويه إلى خصوصية كل بلد وظروفه الخاصة التي تؤثر بشكل مباشر على مستقبل هذه المظاهرات ومدى نجاحها في تحجيم النفوذ الإيراني. فثمة عوامل كثيرة مؤثرة في نتيجة هذا الحراك الشعبي منها: التركيبة الديموغرافية وطبيعة التيارات السياسية والتدخل الخارجي والموقع الجغرافي ...إلخ.

47- يُنظر: حسين قطريب، **سورية المفيدة والتغيير الديموغرافي في سوريا**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 2017/5/3، ص26.

48- أصدر النظام السوري قانون التعليم الجديد للعام الدراسي 2006-2007 لتجفيف منابع التعليم الديني؛ مع استثناء الحوزات الشيعية، فأصدر علماء الشام بياناً لأول مرة يخاطبون رئاسة الجمهورية بشكل مباشر، ويرفضون القانون واستثناء الحوزات؛ ما اضطر النظام للتراجع عن القانون يراجع: التغلغل الثقافي الإيراني في سوريا (1): الأدوات الدينية، مرجع سابق، ص17.

تتأكد ضرورة عمل المعارضة السورية على إعادة الاعتبار للمؤسسة الدينية السنّيّة الوسطية ذات البعد المدني البعيد عن الطابع الرسمي المرتبط بالدولة ومؤسساتها[49]، ودعمها حتى في داخل مناطق النظام[50]؛ لتقوى على مواجهة التغوُّل الإيراني "الشيعي".

14. استطاعت إيران العبث بالهوية المادية والمعنوية لسورية وشعبها؛ ولكنّ هذه الهوية ليست وليدة عقود يسيرة، فلا يمكن أن تنمحي خلال سنوات قليلة، ولولا أن إيران تدرك جيداً صعوبة التغلب على الهوية السورية لَمَا حاولت ضربها من عدة زوايا لإحداث خلل فيها، وما يروَّج له من توتر طائفي وحرب هويات فإنما هو طارئ حدث بسبب تدخل الميليشيات المدعومة من إيران.

ولا يعني هذا النقاش إسقاط نقاط القوة الإيرانية الثقافية في سورية، ولا يُتوقع من إيران – بعد ما بذلته مادياً ومعنوياً – الاستسلام، وما تفعله من تخريب أي خطة للتسوية تتم بعيداً عنها يؤكد ذلك؛ ولكن المراد فتح آفاق مجابهة التغلغل الثقافي الإيراني في سورية، ولذا يمكن بعد هذه الدراسة إضافة التوصيات الآتية:

- تقع سورية في قلب الاستراتيجية الإيرانية للسيطرة على المنطقة العربية، لكنّ هذا لا يغيّر من مطامع إيران في باقي الدول العربية، وتستشعر كثير من الدول خطورة نجاح مشروع التغلغل الثقافي الإيراني في سورية؛ لأنه سيمثّل نموذجاً ناجحاً آخر لها تحاول تكراره في دول أخرى، على نحو ما تحاول استنساخ تجربتها مع حزب الله بلبنان ومع الحوثي باليمن ومع أعوانها بالعراق في دول عربية أخرى؛ ما يستوجب استنفار المؤسسات الثقافية العربية الرسمية وغير الرسمية وغيرها لمواجهة المدّ الإيراني، مع ضرورة مساندة دول الخليج العربي - خاصة - للثورة السورية؛ فهي الهدف التالي لإيران وفق خطتها الاستراتيجية.
- الهلال الشيعي من طهران إلى المتوسط هو حُلم إمبراطوري لإيران؛ ولكنه يختزن في داخله عوامل ضعف وانهيار[51]، وقد أخذ ينقلب عليها مع المظاهرات التي انطلقت في لبنان والعراق من حاضنتها الشيعية[52]؛ وهذه فرصة لتكاتف الشعوب العربية في هذه الدول لمواجهة النفوذ الإيراني.
- لابد من إيجاد فرع جديد للقانون الدولي هو "القانون الدولي الثقافي"، يعترف بالحقوق الثقافية ويجمعها ويقنّنها، كما يضع نموذجاً لقائمة الجرائم المرتكبة ضد الأمن الثقافي للدول[53] لمواجهة الأنشطة الإمبريالية الثقافية الإيرانية وغيرها، وفرض عقوبات على الأفراد والمؤسسات التي تثبت إدانتها بـ"جرائم ثقافية".

49- يمثل "المجلس الإسلامي السوري" في هذا المجال تجربة ناجحة في اتجاه إعادة الاعتبار للمؤسسة الدينية السنّيّة الوسطية كمؤسسة مدنية غير رسمية، حيث جاء في تعريف المجلس: "هيئة مرجعية شرعية سورية تسعى إلى جمع كلمة الدعاة وممثلي الكيانات الشرعية، وتوجيه الشعب السوري، وإيجاد الحلول الشرعية لمشكلاته وقضاياه، والحفاظ على هويته ومسار ثورته".

ينظر: موقع المجلس الإسلامي السوري، الرابط: http://sy-sic.com/.

50- ليس المقصود دعم مؤسسات أو تيارات مرتبطة بالنظام كونها لا تعدو أن تكون تجميلاً لوجه قبيح، وإنما تيارات ومدارس وهيئات علمائية بعيدة عن النظام الرسمي.

51- يُنظر: ميشيل كيلو، **غلطة شُطّار طهران!**، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 2020/4/13، https://cutt.us/sB7QH، وناجي خليفة الدهان، **انهيار المشروع الإيراني في المنطقة**، مركز أمية للبحوث والدراسات الاستراتيجية، 2020/3/10، https://cutt.us/La3j3.

52- حنين غدار، **الشيعة في مواجهة "الهلال الشيعي"**، معهد واشنطن لدراسات الشرق الأدنى، 2020/2/5، https://cutt.us/QXMVo.

53- سكينة بوشلوح، **العلاقات الثقافية الدولية**، المعرفة، الجزيرة نت، https://cutt.us/nnmCV.

- تأسيس "مرصد عربي فارسي" يستفيد من الكوادر السورية المتخصصة قانونياً وإدارياً لتتبع أنشطة التغلغل الثقافي لإيران في سورية وفضح انتهاكاتها.
- لا تتوفق أنشطة التغلغل الثقافي الإيراني مع الفاعلين الدوليين الآخرين في سورية، وقد ظهرت صدامات على الصعيد التعليمي والثقافي مع روسيا، وأكثر الدول المؤثّرة (المجاورة والصديقة) لا تنظر بارتياح للتغلغل الإيراني والتغيير الديموغرافي في سورية؛ فيجب استنفار كافة المؤسسات السورية المعارضة لإثارة هذه القضية بما يوازي خطرها مع كافة الدول.
- لابد من مواجهة النشاط الحالي للشركات الإيرانية في إعادة الإعمار داخل سورية، لاسيما وبعضها على قائمة العقوبات الأمريكية؛ فيلزم إثارة دول المجتمع الدولي المؤثرة ومؤسساته الفاعلة لفرض عقوبات على كل الشركاء في أعمال إعادة الإعمار داخل سورية قبل التوصل لحل سياسي نهائي.
- ثبت أن التغلغل الثقافي الإيراني يتضرر منه أهل السنّة في سورية مع باقي الطوائف من العلوية والإسماعيلية والدروز؛ وهذه فرصة لتوحيد جهود السوريين جميعاً ضد المشروع الإيراني، وتأكيد الحرص على وحدة سورية وهويتها الوطنية.
- إثارة قضية التغلغل الثقافي الإيراني داخل سورية لتكون قضية رأي عام للسوريين في كل مكان، وتأكيد أنّ ما تفعله إيران هو احتلال ثقافي وتغيير ديموغرافي يغيّر هوية سورية لأجيال قادمة إن لم يتم إسقاط إيران ونظام الأسد في سورية.
- ضرورة تمسّك السوريين في مختلف المناطق، داخل سورية وخارجها بالهوية الثقافية الأصيلة، فالسوريون أقوياء وسورية لهم ما تمسكوا بهويتهم؛ لأن أزمة الهوية تدفع الإنسان إلى الهزيمة المسبقة والمبكّرة[54]. والهوية عُرضة للصدمات والتصدعات لكنها قادرة دون شكّ على تجاوزها[55]، ومن تاريخ الأمم يتبيّن أن أفضل ما تفعله أمةٌ من الأمم حينما تواجه تفوُّقاً حضارياً يهدد وجودها، وتعجز عن منافسته؛ هو الاحتماء في قوقعة وجودها، وهي هويتها، حتى تستجمع قوتها أو يتفسخ عدوها[56].
- عانت كثير من الدول من حروب طائفية، ومن غزو عسكري خارجي ومن حروب ثقافية؛ لكنّ إرادة الشعوب تكسرها وتتغلب عليها جميعها[57]، وقد مرّ على سورية أشكال عديدة من الاحتلال والحروب الناعمة والساخنة، وخرجت منها وحفظت وحدة أرضها وشعبها؛ وليس التغلغل الثقافي الإيراني أو الاحتلال الإيراني الثقافي بأشد من ذلك.

خاتمة:

54- كتاب الهوية، ميكيشللي، ص146.

55- كتاب الهوية، ميكيشللي، ص130.

56- يُنظر: محمد جلال كشك، **الغزو الفكري**، الدار القومية للطباعة، مصر: ص10.

57- يُنظر: ريز إرليخ، **داخل سورية: قصة الحرب الأهلية وما على العالم أن يتوقع**، ترجمة: رامي طوقان، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2015، ص246.

تدرك إيران أن حربها الثقافية الحضارية في سورية طويلة الأمد، ولذا ما زالت تبذل كل ما تستطيع لإنجاح التغلغل الثقافي داخل سورية منذ السبعينات، واستغلت أدوات متنوعة على كافة الأصعدة بحسب ما تتيحه لها العلاقات السياسية والأجواء العامة في سورية؛ فما تحاول فرضَه اليوم عبر التغيير الديموغرافي والقوة الصلبة بدأت به عبر نشر التشيّع الفارسي من قبل، وكل ما تقدّم في الدراسة إنما هي أدوات لتحقيق التغيير الثقافي والاجتماعي الذي يضمن لإيران وجوداً طويل الأمد في سورية بأقل التكاليف. وما بذلتْه طيلة عقود وحتى اليوم لن تقبل التراجع عنه بسهولة.

وحيث إنّ حربَ إيران الثقافية في سورية شاملةٌ؛ فلابد أن تكون المواجهة شاملةً كذلك، فمع الثقة بالقدرة على كسر مشروع طهران للسيطرة على سورية فإننا نعي تماماً أن ما أنجزته إيران من التغلغل الثقافي ليس بقليل؛ فلابد من تضافر الجهود ومجابهة أدوات التغلغل الإيراني جميعها.

والمجتمع السوري الذي تعاقبت عليه دولٌ وعصورٌ حافظَ فيها على هويته وتنوّعه العرقي والديني لا يمكن أن يخضع للسطوة الإيرانية مهما بلغت قوتها الصلبة والناعمة، إذ لا يغيب عن السوريين أنهم أمام غزو فارسي طائفي يستهدف هويتهم، على نحوٍ أشد مما يستهدف أرضهم وممتلكاتهم؛ فلن يمرّ التغلغل الثقافي الإيراني دون مقاومة، فما زالت في اليد مفاتيح قوة للتغلب على هذا التغلغل ومجابهته؛ حتى يتم دحره والعودة بسورية إلى هويتها العربية الإسلامية الأصيلة.